النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السادس

في ما ورد في الاسفار المقدسة من حكم العرب والحديث

كنّا انتهينا في فصلنا السابق الى ذكر الامثال التي اخذها العرب في الجاهليّة او اوائل الاسلام عن الاسفار المقدسة من العهدين القديم والحديث . ويلحق بهذا الباب بابُ حكم العرب مع الحديث المرويّ عن نبيّ الاسلام افردنا اذلك هذا الفصل بحيث يظهر من المقابلة ما كان للنصرانية من النفوذ بين العرب في اواخر ايّام الجاهليّة وظهور الاسلام

١ الحكم

جاء في ديوان سلامة بن جندل (ص ١٩):

عجلتم علينا حجّتين عليكمُ ... ومهما يشأ الرحمنُ يعقِدْ ويُطلِقِ
هو الكاسرُ العظمِ الامين وما بنا ... من الأمر يجمَعْ بينَهُ ويفرّقِ

ومثلهُ لسُوَيد بن ابي كاهل (شعراء النصرانيّة ٤٣٤):

انّما يرفعُ اللهُ ومن شاء وَضَعْ

فهو من قول الله عزّ وجلّ (١ ملوك ٢ : ٦-٧ : « الربُّ يميت ويحيي يُحدر الى الجحيم ويُصعدُ الربُّ يُفقِر ويغني يَحُطّ ويرفع »

وقال عبد القيس بن خُفاف (المفضّليات ٧٥٠):

اللهَ فاتّقِ وأوفِ بنذورِ واذا حلفتَ عارياً فتحلّلِ

قال في سفر الجامعة (١٢ : ١٣) : « اتّقِ الله واحفظ وصاياه » وقال في المزامير (٤٩ : ١٤) : « أوفِ العليَّ نذورك ». وفي سفر الخروج (٢٠ : ٧) : « لا تحلف باسم الرب الهك باطلًا فانَّ الربَّ لا يزكي من يحلف باسمه باطلًا »

وورد في شعر المرقّش الاكبر (شعراء النصرانيّة ص ٢٨٦) :

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احد بدائمْ
قد خُطَّ ذاك في الزَّبو رِ الأوّليّات القدائمْ

يشير الى المزمور المئة والواحد حيث يقول داود للربّ : « انَّ الارض والسماوات تزول وانت تبقى وكلُّها تبلى كالثوب . وانت انت وسنوك لن تفنى » . ومثل هذا قول اميّة بن ابي الصلت (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميتُ ويحيي دائباً ليس يهمدُ

ومما اقتبسهُ لبيد من سفر الجامعة قولهُ :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

ومن مقتبسات لبيد من الاسفار المقدّسة (دانيال ٤ : ٣٢ وخروج ٣٣ : ع ١) قولهُ :

انَّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ
احمدُ اللهَ ولا بدَّ لهُ بيديهِ الخيرُ ما شاء فعَلْ
من هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومن شاء أضلْ

وقال أفنون (شعراء النصرانيّة ١٩٣) :

لعمرك ما يدري امروء كيف يتّقي اذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيا

وقال الآخر :

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فاوّلُ ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

وقال عليّ في المعنى (ص ٤) : « توكّلْ على الله يَكفِكَ » . وهذا كثير في الاسفار المقدّسة . قال في المزامير (٥٤ : ٢٣) : « ألقِ على الربّ همّك وهو يَعُولك » . وقال (١٢٦ : ١) : « وان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلًا يتعب البنّاؤون » . وقال بطرس في رسالتهِ الاولى (٥ : ٧) : « ألقوا عليه همّكم فهو يعتني بكم »

وفي ديوان حاتم الطائي قولهُ (شعراء النصرانيّة ص ١٢١):

كُلُوا الآنَ من رِزْقِ الإله وأَبْشِرُوا فانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

هو كقول المخلص في انجيل متّى (٦ : ٣٤): « لا تهتمّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ »

وقد اقتبس أُميّة بن ابي الصلت من تسبحة الثلثة فتية (دانيال في تسابيحهِ فقال (شعراء النصرانيّة ٢٢٧):

تسبّحهُ الطيرُ الجوانحُ في الهوى واذ هي في جوِّ السماء تُصَعَّدُ
ومن خوف ربّي سَبّح الرعدُ فوقنا وسبّحهُ الاحجارُ والوحشُ أَبَّدُ
وسبّحهُ الثبانُ والبحرُ زاخرًا وما طمَّ من شيء وما هو مُتْلِدُ

واستمدَّ من سفر حزقيال (ف ١٠) وصف الملئكة فقال:

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
ومنهم مُلِفٌّ في الجَنَاحَينِ رأسَهُ يكادُ لذِكْرى ربّهِ يتفصَّدُ

واقتبس الآخر قول اشعيا (٤٠ : ١٨) « بمن تشبّهون الله واي شيء تعادلون بهِ » فقال:

وليس كمثل الله شيء ولا لهُ شبيهٌ تعالى ربّنا أن يُحَدَّدا

وشبَّه داود في المزامير (١٤:٣٢) واشعيا في سفر نبوّتهِ (٤٠ : ٢٤) زعماء الارض بعصافة يتلاعب بها الريح فأخذ هذا التشبيه الحريث بن عنّاب (الاغاني ١٤:١٠٢) فقال:

كأنها ريشةٌ في أرضِ بلقعةٍ من حيثُ ما وجَّهَتْها الريحُ تنصرفُ

وجاء في الاغاني (٢ : ٥٠) ان كعب الاحبار سمع رجلًا ينشد بيت الحطيئة:

مَن يفعلِ الخير لم يعدم جوازيَهُ لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال: والذي نفسي بين يديهِ انَّ هذا البيت لمكتوب في التوراة. قال العمري: والذي صحَّ عندنا في التوراة: لا يذهب العرف بين الله والعباد. والشطر الاول ورد في رسالة القديس بولس الى اهل افسس (٦:٨): « مهما عمل كلّ واحد من الخير فسينالهُ من الربّ »

واقتبس الحطيئة ايضاً من الكتاب المقدس قولهُ:

ولستُ أرى السادة جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخرًا وعند الله للأتقى مَزيدُ

فهو في المزامير (مز ١١١ : ١). وقال ايضاً بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموتاوس (٤ : ٧—٨): «روّض نفسك على التقوى فانّ التقوى تنفع في كلّ شيء»

وقد ذكر الربّ في انجيل لوقا (ع ٤ : ٢٢) المثل: «أيها الطبيب اشفِ نفسك» وحذّر عن المرائي الذي يرى القذى في عين أخيهِ ويغفل عن الخشبة التي في عينهِ (متّى ٧ : ٢—٤) فاخذهُ ابن معاوية الجعفريّ فقال:

ولا تقربنَّ الصنع الذي تلومُ اخاكَ على مثلهِ

وقال الآخر (الاغاني ٢٠ : ٥٧)

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بالبرّ م كبادٍ يغوصُ في الظُّلَمِ
او طبيبٍ قد شفَّهُ سَقَمٌ وهو م يداوي من ذلك السقمِ
يا واعظَ النَّاسِ غيرَ متَّعظٍ نفسكَ طبّرْ او لا فلا تَلُمِ

ومثلهُ لعليّ: من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ

وقد اقتبس يحيى بن زياد قول سليمان في امثالهِ (١٠ : ١٢) «البغض يثير النزاع والحبّ يستر جميع المعاصي» فقال:

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السُّخطِ تبدي المساويا

يقول العرب (الميداني ١ : ٢٩٥): ربّما كان السكوت جواباً. ومثلهُ قول الشاعر:

اذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبهُ فخيرٌ من اجابتهِ السكوتُ

وهذا قد ورد في امثال سليمان الحكيم (٢٦ : ٤): لا تجاوب الجاهل بحسب سَفَهِهِ لئلّا تكون انت نظيرهُ». وقال (٢٩ : ٩): «الحكيم الذي يخاصم سفيهاً لا يجد راحةً»

ومن حكمهم: الصدقُ مَنجاة والكذبُ هواة. ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٢٠ : ٢٦): «الكذبُ عارٌ قبيح في الانسان». وقال (٢٠ : ٢٨): «شأن الانسان الكذوب الهوان وخزيهُ معهُ على الدوام»

من اقوال العرب الشائعة: « العاقل لسانهُ في قلبهِ » وروي بين حكم عليّ بن ابي طالب (ص ٩٨) : قلب الاحمق في فيهِ ولسان العاقل في قلبهِ . قالهُ ابن سيراخ (٢١ : ٢٩) : « قلوب الحمقى في افواههم وافواهُ الحكماء في قلوبهم ». وقال في امثال سليمان (١٦ : ٢٣) : « قلبُ الحكيم يفقّهُ فهُ ويزيد شفتيهِ فائدةً »

وروي ايضاً لعليّ (ص ٣٢) : « ابن الكلام قيد القارب » . ورد مثلهُ في ابن سيراخ (٦ : ٥) « الفم المذب يكثر الاصدقاء واللسان اللطيف يكثر المؤانسات »

وبين حكم علي أيضاً (ص ٧٢) : ذكر الآخرة دواء . وقال ابن سيراخ (٧ : ٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر اواخرك فلن تخطأ ابداً »

ومن حكم العرب (الميداني ٢ : ٦٧) : كلام كالعسل وفعلٌ كالأسل . كأنهُ تعريب آية الزبور (٦١ : ٥) : « يباركون بافواههم وفي باطنهم يلعنون ». ولابن سيراخ (١٢ : ١٥) : « العدوّ يظهر حلاوة من شفتيهِ وفي قلبهِ يأتمرُ ان يُسقطك في حفرة »

ومما رواهُ الميداني للعرب (٢ : ١٧٩) : ما على الارض شيءٌ احق بطول سجن من لسان . قال القديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٨) : « لا يستطيع احد من الناس ان يقمع الانسان فهو شرٌّ لا يُضبط »

يقول العرب : ان شئتَ ان تُطاع فسَلْ ما يُستطاع . ومثلهُ في امثال الميداني (٢ : ١٩٩) : المرء توّاق الى ما لم ينلْ . وقد سبق ابن سيراخ فقال (٣ : ٢٢) : « لا تطلب ما يُعييكَ نَيْلهُ ولا تبحث عمّا يتجاوز قدرتك »

وورد بين الحكم المنسوبة الى عليّ (ص ٦) : ثبات الملك بالعدل . وفي امثال سليمان (١٤ : ٣٤) « العدل يُعلي الأمّة » :

وروي لهُ (ص ١٠٨) : من اطاع نفسهُ قتلها ومن عصى نفسهُ وصلها . وهو منقول عن كلام الرب (متى ١٦ : ٢٥) : « من اراد ان يخلّص نفسهُ يُهلكها ومن اهلك نفسهُ من اجلي يخلّصها »

وروي ايضاً بين حكم عليّ قولهُ (ص ٧٠) : درهم الفقير اذكى عند الله من دينار الغني ، وهو كمثل قول الربّ عن فلس الارملة (مرقس ١٢ : ٤٣) : « انّ هذه الارملة الفقيرة القت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة »

ومنها (ص ٣٢): كلام الله دواء القلوب. وقد سبق اليه في الزامير حيث قال (غز ١٨: ٨): شريعة الرب كاملة تردّ النفوس. امر الرب مستقيم يفرّح القلب

ومنها ايضاً (ص ١٤): ذليل الخلق عزيز عند الله. ورد في رسائل بولس (١ كو ١: ٢٥): مستجهل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس

(له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

GOURAUD: Sa vie — Son œuvre par [Pierre] Gastinel, *Paris, Picart*, 1918. *pp.* 62.

ترجمة الجنرال غورو

اهدتنا المجلّة الفينيقية اصاحبها الاديب شرل قرم نسخة من ترجمة دولة القائد العام الجنرال غورو كتبها احد العارفين به حقّ المعرفة. فقرأناها بايّ لذّة وزاد بمطالعتها اعتبارنا لذلك البطل الذي مثّل في شخصه الشهامة والمروّة وحسن السلوك في كل اطوار عمره. فانهُ حقيقة احد الافراد الذين لا ترى لهم شائبةً في حياتهم. فنحضّ كلّ من يريد ان يعرف نعمة فرنسة الى سوريّة بتعيينها هذا الجنرال لرعاية بلادنا ان يمعن النظر في هذه الترجمة ل. ش

L'Industrie de la Soie en Syrie par GASTON Ducousso attaché au Consulat Général de France à Beyrouth, *Beyrouth, Imprimerie Catholique*, 1913. *pp.*239.

صناعة الحرير في سورية

هذا كتابٌ اهداهُ الينا صاحبهُ الاديب المسيو دو كوسّو اللاحق بقنصلية فرنسة في بيروت قبل الحرب فلم يسمح لنا الوقت بتعريفهِ. مدارهُ على صناعةٍ عليها معوّل حياة الوفر من اهل سوريّة ولبنان اعني صناعة القز والحرير. جمع فيهِ المؤلف كلّ ما يختصّ بهذا الفنّ لم يدع صغيراً او كبيراً من احوالهِ الّا بحث فيهِ. كتاريخ هذه